كتاب "حماية البيئة في الجزائر" د. عبد المجيد رمضان

قراءة د. مبروك كاهي، أستاذ محاضر بجامعة ورقلة

مقدمة:

يتناول الكتاب أحد المواضيع الرئيسية والأساسية التي باتت تشغل الرأي العام الجزائري وصانعي السياسات العامة في البلاد، فعنوان الكتاب الكامل هو "**حماية البيئة في الجزائر دور الجماعات المحلية والمجتمع المدني دراسة ميدانية**"، ومن خلال العنوان يبرز الكاتب أن البيئة هي مسؤولية الجميع و ليس الجهات الرسمية فحسب، وهذا من خلال الدراسة الميدانية التي قام بها الكاتب "عبد المجيد " ونتائج الدراسة التي توصل إليها.

أما عن دار النشر التي صدر منها الكتاب فهي دار "مجدلاوي للنشر" والتوزيع مقرها العاصمة الأردنية عمان، وهي دار نشر متخصصة في نشر وتوزيع الكتب ذات الصبغة الأكاديمية الجامعية، وتتعامل مع عديد الباحثين داخل وخارج المملكة الأردنية الهاشمية وحتى المتواجدين في الدول الأوربية وباقي دول العالم، وقد صدر الكتاب في حجم متوسط بنوعية ورق ممتازة وبحلة تجمع بين الطابع الأكاديمي والدلالات البيئة، فكانت عدد صفحاته في حدود ثلاثمائة صفحة.

المؤلف "عبد المجيد رمضان" أستاذ محاضر بكلية الحقوق والعلوم السياسية بجامعة ورقلة جنوب شرق الجزائر، متحصل على درجة الماجستير في إدارة الجماعات المحلية والإقليمية من ذات الجامعة التي يحاضر بها المؤلف، ومتحصل أيضا على شهادة الدكتوراه في التنظيمات السياسية والإدارية من جامعة باتنة.

الكاتب مهتم بتحليل الوضع السياسي والإعلامي في الجزائري والشأن المغاربي، ولديه العديد من الأبحاث والمقالات والأوراق العلمية حول السياسات العامة، كما أن لديه العديد من المشاركات في الملتقيات العلمية الوطنية والدولية سواء داخل الوطن أو خارجه، ومن بين مؤلفاته كتاب حول تاريخ الجزائر الحديث وشارك بدراسات في مؤلفات جماعية منها، الانتخابات الرئاسية الجزائرية 2014 والأسئلة الحرجة، ومؤلف جماعي آخر بعنوان حوكمة التنمية المستدامة في النظرية والتطبيق، ومؤلف جماعي آخر بعنوان حرية الإعلام في ظل المتغيرات الدولية المعاصرة.

ويمكن اعتبار كتاب الدكتور "عبد المجيد رمضان" إضافة مهمة للمكتبة الوطنية الجزائرية بالنظر لمخزون البحث العلمي الأصيل الذي دأب على تطويره وتأطيره في شكل كتاب أكاديمي متكون من ثلاثة فصول أساسية، ليكون مساهما في طرق أبواب البحث التي تتناول قضايا البيئة، هذه الأخيرة تحض باهتمام بالغ من صانعي السياسات العامة، وبدأت تجلب العديد من الباحثين والمهتمين بهذا الشأن.

أ- **المحور الأول أهمية الكتاب المعرفية:** ويمكن التطرق الى هذه النقطة في ثلاثة محاور أساسية

01- الأهمية الآنية للكتاب:

يشير الكتاب إلى موضوع البيئة وآليات حمايتها في ظل الأخطار المتنامية سواء الناجمة عن التطورات الاقتصادية والصناعية، أو التغييرات في البنى الاجتماعية، ويركز الكتاب على دور الجماعات المحلية والمجتمع المدني لحماية البيئة والتعاون الذي من شأنها أن يعطي نتائج حسنة في هذا المجال، أي تكامل الأدوار بين الفاعليين الرسميين وغير الرسميين في مجال حماية البيئة.

فالكتاب ومن خلال فصوله الثلاثة بقدم عدة مقاربات لدور الجماعات المحلية سواء الولاية أو البلدية في مجال حماية البيئة من خلال القوانين الناظمة، والدور المتوقع من المجتمع المدني، ثم يركز الباحث على الدراسة الميدانية والمتمثلة في سهل وادي ميزاب أحد مناطق القطر الجزائري، ويقدم نظرة عامة للواقع البيئي والذي يمكن اعتباره عينة من المشاكل البيئية الذي تعاني منها الجماعات المحلية في الجزائر.

ومن خلال هذا المؤلف القيم للدكتور "عبد المجيد رمضان" يعطي مدى الاهتمام الكبير الذي باتت تحض به السياسات البيئية لدى صانع السياسة العامة بالجزائر وذلك بتخصيص وزارة خاصة وبميزانية هامة تهتم بشؤون البيئة منذ نهايات القرن الماضي، وهو ما يعزز مقاربة الباحث أن حماية البيئة هو حماية للأمن المجتمعي، فالأهمية الآنية للكتاب تضع الدارس أمام الواقع البيئي المعاش وضرورة البحث عن حلول وبدائل للتخلص من الرواسب البيئية وتعمل على تحسين هذه الأخيرة بالشكل الذي يلائم ويستجيب لتطلعات الساكنة المحلية.

02- الأهمية المعرفية والأكاديمية للكتاب:

يمكن النظر لأهمية موضوع الكتاب بأنه يندرج في إطار البحث العلمي ودعم وتعزيز مجتمع المعرفة، إذ أن الكتاب حاول ومن خلال هذا المؤلف معالجة أحد المشكلات المجتمعية باستخدام أسلوب البحث العلمي، وتوظيف المناهج المتعددة التي تخدم الموضوع، كما الكتاب يحتوي على شقين أو جانبين الأول نظري تأصيلي متعلق بالمفاهيم والمصطلحات ذات العلاقة بالبيئة والسياسات البيئية، والفواعل الرسمية وغير الرسمية التي تشترك في صناعة السياسات البيئية، أما الجانب الثاني فهو المتعلق بالدراسة الميدانية، فقدم الباحث منطقة وادي ميزاب كعينة للدراسة.

03- الأهمية التوثيقية للكتاب:

يمكن اعتبار الكتاب ذو أهمية توثيقية بالغة ومرجعا مهما للباحثين والطلبة المهتمين بمجال السياسات البيئية، ويوثق للجهود التي تبدلها السلطات العليا في البلاد للارتقاء بالبيئة وسن قوانين تحميها ضد كل أنواع المخاطر والمضار التي من شأنها أن تحدث تغييرات على البيئة.

كما يوثق الكتاب دور الجماعات المحلية من خلال الصلاحيات التي تملكها ويشير الكتاب أن القضايا البيئية تحض باهتمام المجالس الشعبية المحلية، وذلك من خلال تتبع صلاحياتها منذ ظهور قانون البلدية والولاية لسنة 1969 حيث أشار الكتاب إلى بيان اختصاصها في مجال حماية البيئة، وايضا قانون الجماعات المحلية 90-09 وبيان اختصاص الهيئات المحلية في مجال حماية البيئة وصولا الى القانون 12-09 والاجراءات والصلاحيات التي تعزز سلطات المجالس المحلية دعما لحماية وتطوير المحيط البيئي، وهي أهمية توثيقية مهمة دونها الكتاب.

كما أولى الكتاب جانبا توثيقيا بالغ الأهمية للتراث الإنساني والحضاري لساكنة سهل ميزاب وموروثها الثقافي الذي يستحق التثمين، فالكاتب "عبد المجيد رمضان" عمل على توثيق جهود المجتمع المدني في حماية البيئة والآليات والمنطلقات التي يسير وفقها، وما هي الأهمية التي تكتسيها البيئة من قبل ساكنة سهل ميزاب الجزائري.

ب- ميزة الكتاب ومقاربته المنهجية: ويمكن إجمال هذا العنصر من خلال المرتكزات التالية.

01- استحضار البعد الامبريقي:

ركز الكتاب على دراسة حالة سهل ميزاب حيث تساءل الكاتب في مؤلفه عن جدلية الحضارة العريقة في بيئة متردية، ثم تطرق بالتفصيل إلى أدوار الجماعات المحلية والمجتمع المدني في مجال حماية البيئة، وقدم أبرز تحد وهو مخلفات فيضانات سنة 2008 وكيف تعاملت معها السلطات المركزية.

كما يستحضر الكاتب تجربة الجماعات المحلية لسهل ميزاب في مجال حماية البيئة الاهداف المرصودة والامكانيات المتاحة والعوائق المحتملة، كما يقدم في دراسته الميدانية بعض المؤشرات الاحصائية والدلالات البيانية لتزايد نسب النمو لدى ساكنة سهل ميزاب وما يمكن أن يؤثر على ذلك على الوضع البيئي إضافة الى تنامي النشاط الصناعي وتبعاته البيئية.

02- **توظيف المنهج المقارن:**

بالرغم من أن الكتاب يتناول تجربة سهل ميزاب في مجال حماية البيئة إلا أنه يلاحظ أن المؤلف قد استخدم المنهج المقارن واعتمد عليه كثيرا من أجل إبراز ت تطور منظومة القوانين والتشريعات الخاصة بحماية البيئة من سنة 1969 الى غاية التشريعات الأخيرة في قانون الجماعات المحلية 12-07 مبرزا أوجه القوة والقصور ويثمن الاجراءات التي ترتقي بمجال حماية البيئة.

كما يعرض الكتاب لتجربة الجماعات المحلية المنشرة في سهل ميزاب ويقول الكاتب بالرغم من أنها تقع في إقليم إداري واحد إلا أن أداءها اتجاه حماية البيئة والمحيط يختلف من بلدية إلى أخرى، وقد توصل إلى هذه النتيجة من خلال استخدام المنهج المقارن، فتحرك الجماعات المحلية اتجاه القضايا البيئية يختلف من مجلس لآخر.

كما تساءل الباحث من جهة أخرى عن تباين دور وأداء الجمعيات المحلية وتفاعلها اتجاه قضايا البيئة، من خلال المقارنة، وهنا يؤكد الباحث في كتابه على أهمية وضرورة تكامل الأدوار بين الجماعات المحلية والمجتمع المدني من حماية البيئة والرقي بها والعمل على تحسينها وتطويرها.

ج- قضايا البحث وتساؤلاته:

يتمحور الكتاب حول إشكالية رئيسية وهي مدى فعالية جهود الجماعات المحلية والمجتمع المدني في حل المشكلات المرتبطة بالبيئة؟

ومن هذا المنطلق قام الكاتب بمعالجة هذه الاشكالية انطلاقا من القضايا الأساسية التالية:

- المفاهيم الأساسية المتعلقة بحماية البيئة، أي مفهوم البيئة ومفهوم التلوث، ومفهوم إدارة حماية البيئة.
- القضية الثانية التي أثارها الكتاب دور الإدارة المركزية في مجال حماية البيئة، وكذلك دور الإدارة المحلية ومحاولة توضيح العلاقة بين الإدارتين بما يخدم المصالح البيئية.
- أما القضية الثالثة والتي تعتبر محور الكتاب فهي الدراسة الميدانية بواقع حماية البيئة بسهل بميزاب والأدوار التي تؤديها كل من الجماعات المحلية ومنظمات المجتمع المدني المنتشرة عبر إقليم سهل ميزاب.

ويضيف الكاتب "عبد المجيد رمضان" أن الدراسة ساهمت بشكل كبير على التعريف ببعض المدن الجزائرية، والتعرف أكثر على مدى وعي الجماعات المحلية وحتى منظمات المجتمع المدني والسلطات المحلية بالمخاطر البيئية وإدراكها بمسؤولياتها في معالجة هذه المخاطر، ويطرح تساؤل آخر في قضية أخرى بمدى مساهمة المجتمع المدني ونشر الوعي البيئي.

ويطرح الكتاب مدى اهتمام السلطات المركزية بالسياسات البيئية سيما في السنوات الأخيرة لما أصبحت دول العالم بما فيها الجزائر تنظر إلى مواردها الطبيعية بأنها سلعة اقتصادية قابلة للنضوب الأمر الذي يدفعها حتما إلى التفكير في استخدام موارد جديدة ومتجددة غير ملوثة للبيئة مثل الطاقة الشمسية والطاقة الهوائية، رغم الاندفاع حاليا نحو استكشاف واستغلال الغاز الصخري يقول المؤلف.

د- طبيعة الكتاب والكاتب:

الكتاب هو عبارة عن بحث أكاديمي توج به الكاتب حصوله شهادة الماجستير في إدارة الجماعات المحلية من جامعة ورقلة سنة 2012 وعمل الباحث طيلة السنوات الماضية على تطويره وإضافة التشريعات والقوانين الأخيرة ذات الصلة بحماية البيئة، إذ جاء هذا الكتاب من أجل دعم الدراسات التي تهتم بقضايا البيئة والتي عرفت تطورا ملحوظا في السنوات الأخيرة.

ويمكن القول أن الكتاب هو قيمة علمية ويحمل خصائص البحث العلمي وتوظيف المناهج والاقترابات من أجل الإجابة عن الاشكالية، كما عمد للتأصيل النظري وتوضيح المفاهيم ذات العلاقة بحماية البيئة ثم التطرق للدراسة الميدانية وتقديم الجداول الاحصائية لنشاط الجمعيات المحلية وحتى الجماعات المحلية، أي أن الكتاب هو عمل أكاديمي وإضافة للمكتبة الوطنية.